# بين يدي "فاغنر" !

أحمدُ بن الإمام التيشيتيُّ

الحمد لله ربّ العالمين، وبعد:

فقد كنتُ أعلنتُ في صفحتي على فايسبوك منذ ثلاث سنين خلت، أنّني بصدد إصدار كتاب لي بعنوان: "سنتان في أزواد" (١) وقد زاد مُقامي في أزواد على تلك السنتين ثلاث سنين أخرى، فغيّرتُ عنوان الكتاب إلى "خمس سنين في أزواد"، وقد كانت صفحات الكتاب في تلك السنتَين بالكاد تبلغ الأربعين صفحة، ترصد مظاهر شكليّة غير جديرة بالاعتناء أصلًا، إلّا أنّي في السنتين الأخيرتين، أضفت إلى الكتاب مباحث مهمّة، متعلّقة في الأساس بتاريخ المنطقة وأهلها، المجهول لكثير من الناس، حتّى أنّي لم أعثر -بعد كثير من البحث- على دراسة جادّة تُلقي الضوء على مختلف عصور المنطقة، سوى دراسة يتيمة لكاتب جزائري، لم تكن شاملة ولا وافية، بل جاءت مركّزة على قبيل واحد من قبائل المنطقة، متجاهلة بقيّة القبائل ودورها الهامّ في صناعة تاريخ المنطقة، فاعتبرتُ الأمر قد وجب عليّ وتعيّن، فشمّرتُ عن ساعد الجدّ وسافرت إلى جنوب الجزائر، (تمنراست، آدرار، غرداية.) وإلى العاصمة الماليّة باماكو، لجمع المصادر والمراجع، وقد تجمّع عندي منها شيء كثير ولله الفضل والمنّة.

ورغم أنّ مباحث الكتاب قد اكتملت، إلّا أنّي مازلتُ أزيد فيه وأنقص من حين لآخر متى ما عنّ لي، وهذا فصل من مبحث أدخلته أخيرًا، يرصد الأزمة الأخيرة التي اشتعلت شرارتها بانقلاب السلطة الحاكمة في باماكو على الجبهات في الشمال، واستدعاءها للشركة العسكريّة

---

(١): انظر:
https://www.facebook.com/share/p/s8ecG81SZmx7PJyN/?mibextid=oFDknk

الروسيّة سيّئة السمعة "فاغنر" ليبدأ أفراد الشركة المذكورة في الشعب الأزوادي المنكوب قتلًا وتنكيلًا، وهذه حكاية تجربة شخصيّة:

... تاريخ الحادثة الفظيعة هو فجر يوم الجمعة الموافق: ٢١/٠٧/١٤٤٥ هـ، فقد لاحظتُ حين خروجي من المنزل للأذان الأوّل الساعة: ٠٤:٣٠ فجرًا، سيارتين دخلتا من شمال الحيّ متّجهةً نحو جنوبه، (وقد خرجتا أمامي ليس بيني وبينها عشرون مترًا) لم أتبيّن -بادئ أمري- شكل السيّارتين، لكنّي لاحظت أنّ إحداهما قد أطفأت ضوءها وهي تتبع الأخرى، رجعت إلى المنزل وقد رابني أمرهما، وصفتُ لزوجي ما رأيت، فطمأنني ما قالت من أنّهما لعلّهما من سيّارات النقل التي تتجنّب الطريق العامّ في مثل ذلك الوقت، خوفًا من قطّاع الطرق المترصّدين بكثرة بعد الانفلات الأمني الذي خلّفه انسحاب الجبهات للشمال، عدت إلى المسجد ورفعت الأذان، ثمّ خرجت إلى موضع بجوار المسجد منتظرًا طلوع الفجر هناك، انبلج الفجر بعد حين، فأذّنتُ الأذان الأخير في مكبّر الصوت (المايكرفون) دون أن أشعر بشيء سوى جماعة المسجد التي تأخّرت ولم يأتِ منها أحد، وقد أنساني الله أمر السيّارتين فلم تخطرا لي على بال، وفي الساعة: ٠٥:٤٠ أي بعد الوقت المحدّد للصلاة بعشر دقائق لم يأت أحد، فأقمت الصلاة، قرأتُ في الركعة الأولى سورة: (الملك)، وفي الثانيّة: (الحاقّة)، بتُؤدة واطمئنان مؤمّلًا مجيء أحد من جماعة المسجد، ولمّا سلّمت وقبل أن أقوم من موضع الصلاة، إذا بفتًى من فتيان الحيّ قد دخل عليّ يرجف فؤاده، وتتدافع أنفاسه، وكأن قد رأى ما هاله وأفزعه.

- "الطالب" فاغنير" جاءت وقيّدت فلانًا وفلانًا وذهبت بهما.
- "إنّا لله وإنّا إليه راجعون" كيف حدث ذلك؟ قلت له.
-رفعوا اللّحاف عنّي وحين رفعتُ رأسي أشاروا عليّ بألّا أُصدر صوتًا، ثمّ أقبلوا على صاحبيّ فشدّوا وثاقهما، ثم أدخلوني في الدار وأغلقوا بابها عليّ.
- في أيّ اتّجاه ذهبوا؟ سألته.
- سمعت صوت آلياتهم متّجهةً جنوبًا.

خرجتُ من المسجد مُسرعًا، وقلت للفتى: اذهب إلى شمال الحيّ وابحث لي عن فلان وفلان هناك، وانطلقتُ إلى الدُّور التي في جهة الشرق أتفقّدها، دخلتُ إلى منزل كبير الحيّ فلم أعثر على أحد، إلا أنّي لاحظت وجود آثار أحذية عسكريّة، فعرفت أنّه ذهب في جملة المخطوفين، ذهبت بعدها إلى جاري الأقرب وإذا به غارقٌ في نومه، ليس له علم بما حصل، وجاء الفتى الذي كنت أرسلته، فأخبرنا أنّه لم يجد أحدًا حيث أرسلناه، وفجأة ... وبينما نحن في أخذنا وردّنا وتخميننا، إذ بأربعة رجال يُهرولون نحونا وقد وجّهوا بنادقهم إلينا، فأشاروا إلينا برفع أيدينا وساقونا بأفواه البنادق، ساعتها خرجَت أمّ العيال من الدار، فرأتهم يقتادوني وصاحبي فأسرعَت نحوي وكبّلت فيّ من الخلف، وأخذت تتوسّل إليهم لتركي، فلم يتردّد قائدهم ووضع بندقيته -بكلّ إجرام- على نحرها، وحذّرها أن تبتعد، عندها انتفضتُ من بين يديها وطلبت إليها الرجوع إلى دارها أو أن تذهب إلى جارتها، وساقونا سوقًا إلى المكان الذي أعدّوه للاستجواب، في الطريق إلى هذا المكان (يبعد عن الموضع الذي ألقوا علينا القبض فيه حوالي ثلاثين مترًا)، التفت إليّ أحد الثلاثة الذين يسوقونا

فسألني قائلًا: "أزوادي"؟ اندهشتُ من سؤاله؛ لأنّه بدى وكأنّه نطق هذه الكلمة بلغة عربيّة، وليس بلغة مَن العربيّة أجنبيّة عليه، نظرتُ فيه متأمّلًا وإذا بي أمام شابٍّ في بداية العشرينيّات من عمره، (٢١-٢٢)، قد أُعطي بسطةً في الجسم =عضلات مفتولة، وبطن ضامر جدًّا لدرجة لافتة، وتشنؤه عين الناظر لفرط طوله، (ظهر لي بعد ذلك أنّ هذه صفات غالبهم، فالظاهر أنّهم يحرصون على صفات معيّنة من طول القامة وقوّة الجسم تكون في المنتسبين إلى صفوفهم.) قلت له: "لا" فقال: "القاعدة" فقلت له: "لا" فأشار إلى سلاحه وسأل هل أمتلك سلاحًا؟ فأجبتُ بالنفي، فقال لي:"كذّاب"، ثم سألني هل أعرف اللغة الإنجليزية، فقلت له: "كلّا" قال: والفرنسيّة؟ قلت له قليلًا، قال وأنا أعرف العربيّة "اشويَّ" ثم لمّا وصلنا، قال: ادخل إلى المدير هنا للتّحقيق، وما إن دخلنا حتّى تناولتنا الأيدي صكًّا ولطمًا ولكمًا، والأرجل ركلًا وصفعًا ودفعًا، ففهمتُ أنّ هذا أسلوب لهم مع كل داخل جديد، يُراد منه بثّ الرعب في نفسه، قبل مباشرة أي تحقيق معه، ثمّ دفعني أحدهم بقوّة إلى داخل غرفة التحقيق، وجّه المحقّق بمصباحه إلى داخل عينيّ -وقد كان الظلام ما زال مخيّمًا في الغرفة-، و قبل أيّ سؤال وجّه لكمةً مؤلمة إلى خدّي الأيمن، ثم نظر إلى إنسان يجلس بجانبه، وسأله: "BANDIT"؟ (كلمة فرنسية معناها اللصّ أو قاطع الطريق.)، لم أعرف ما قال له صاحبه الجالس، لمكان المصباح المسلّط على عينيّ، لكّني سمعتُ كلمة "إمام المسجد" فوجّه سؤاله إليّ وقال: "radical"؟ ( متطرّف أو أصولي)، إلّا أنّ ضربةً مريعةً وجّهها ابن الخسيسة إلى معدتي أنستني الإجابة التي كنت أنوي المراوغة بشأنها، فدارت بي الأرض وخارت قواي، من قوّة الضربة ومفاجأتها فإنّي لم أعهد مثلها، والحمد لله على العافيّة.

وكما أُدخلت إلى غرفة التحقيق، دَفعني البوّاب إلى خارجها بمنتهى قوّته، وبكلّ عجرفة وغلظة، ساورني في اللحظة التي سقطتُ فيها على ركبتيّ شعور، تبدّى لي بعد ذلك صدقه، وهو أنّ المراد من هذه الإهانة العبثيّة ليس تحقيقًا يُعرف منه "المذنب" من البريء، وإنّما الغرض الأوّل منه بثّ الرعب والخوف من هذه الوحوش الكاسرة التي لا تُظهر مثقال ذرّة من رحمة، وتُعامل البشر بمنتهى الوحشيّة، مظهرة كلّ فظاظة وغلظة تقدر عليها. (١)

نظرتُ من حولي في الساحّة التي وقعت إليها، وإذا بجميع رجال القرية معصوبي الأعين مقيّدين، خلا أربعة منهم أنا ورفيقي الذي جيء به معي، (تبيّن لنا بعد ذلك أنّ كلّ من وجدوه مستيقظًا ساقوه كما وجدوه، ومن عثروا عليه نائمًا اقتادوه بعد تعصيب عينيه وتقييده)، جلستُ منتظرًا ما يكون، وخِلتُ -لسذاجة تصوّري عن وحوش روسيّة- أنّني قد تجاوزت مرحلة الخطر، وما دريتُ أنّ حفلة الشواء لتوّها بدأت وما سبق لم يكن إلّا مقدّمة ترحيبيّة لا تساوي ١% من الجحيم الذي ينتظرنا؛ جاء ثلاثة منهم إلينا أوقف أحدهم أحد الرعاة وأشار إلى أحد المقيّدين، وسأله: "أزوادي"؟ قال الراعي المسكين: لا أدري، فلم يُكملها إلّا وعصًى قد تمكّنت من عنقه فوقع مغشيًّا عليه، وانكسرت العصى، فبدى الغضب على الجلّاد وراح يتخفّف من أحماله فدفع إلى أحد أصحابه سلاحه، وألقى سترته العسكريّة أرضًا، ثمّ راح يبحث -في هستيريّة- عما يُشفي به غلّ صدره، فألمح خشبة مغروزة بإزاء الجدار، انتزعها في قوّة، وأشار إلى صاحبيه فأحضرا أحد المقيّدين، لفّ أحدهم عمامة الضحيّة على رقبته وأجثاه على ركبتيه، وأخذ هو يضربه بكلّ قوّته دون أن

---

(١) يأتي الحديث عن المخطّط الدولي والدور الإقليمي في المساهمة في جلب هؤلاء الملاحدة المرتزقة.

يتحاشا موضعًا قد يؤدّي ضربه له بهذه القوّة المفرطة إلى إتلاف مهجته، ضرب ظهره ورأسه وعلى ركبيته -لإعاقته فيما يظهر- ركّز ضربًا كثيرًا متواصلًا، حتّى ظهر عليهم الإعياء، ثمّ انصرفوا وتركوه طريحًا ليس به قوّة على النهوض.

وجاءت مجموعة ثانيّة، فأخذوا الشيخ العجوز، ويا لفظاعة فعلهم في الشيخ العجوز ! تصورّروا عجوزًا في الثمانين من عمره، كم يُمكن لجسمه النّحيل أن يتحمّل من ضرب، أو يقوى على عذاب؟ جرّوه إلى داخل غرفة السلخ، ولم نسمع سوى صوت الضرب بالعصيّ التي انثالت عليه كالمطر الغزير، وعلى غير العادة لم نسمع له صوت تألّم ولا صرخات توجّع، فلا ندري هل أسلم الروح عند أوّل ضربة، أم أنّ قوّة صبره، وقدرة تحمّله، تغلّبت على البسالة الإجراميّة لجلّاديه؟. (١)

الشعور الذي انتابني ساعة تمريغ الشيخ العجوز لا أستطيع -لمرارته- تصويره بشكل دقيق، وإن قلتُ بأنّ ما تملّكني هو مزيج من عجز وقهر، وخليط من ذلّ وهوان يعصف بقلبي ويتقلّب كالبركان في صدري فقد يكون ذلك التوصيف قريبًا من الصواب.

وجاءت مجموعة ثالثة يصحبها المترجم (سوداني، يرتدي البزّة العسكريّة لجيش مالي)، وتحاوروا ساعة مع كبير الحيّ، فكان ممّا قاله لهم: أنّه لا يوجد في القرية كلّها قطعة سلاح عند أحد، وبإمكانه أن يُثبت لهم ذلك بأن يتقدّم أمامهم ويفتح لهم أيّ مكان شاؤوا، ويُدخلهم إلى أيّ موضعٍ أرادوا، لكنّهم -في الواقع- كانوا يعلمون ذلك، وإنّما كان غرضهم الأول هو السعي إلى دفع القرى التي تقطن

---

(١) بل اتّضح بعد ذلك أنّه لشدّة ما لقي في ذلك اليوم وما عانى لفظ أنفاسه الأخيرة ظُهر ذلك اليوم رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً.

الصحاري إلى تركها والهجرة عنها، ذلك أنهم يرون في سكّان تلك القرى حاضنًا لمن يُحاربونه، ورغم أنّ ادّعاء أنّ المنمّين من أهل القرى الواقعة على طول خطّ (تيليمسي) هم الحاضنة للجماعات المناوئة لباماكو كذب في نفسه، لأنّ التاريخ الذي نتكلّم عنه لم يعد فيه لأيّ جماعة من الجماعات وجود مسلّح في منطقة (تيليمسي)، بعد دخول القوّات الماليّة وحلفائها من فاغنر مدينة "كيدال" في أقصى الشمال من منطقة أزواد، وإحكامهم السيطرة على الطريق الرابط بين "غاو" و"كيدال"، الأمر الذي دفع الجبهات بعد تضييق الخناق عليها واقتناعها بعدم جدوى المواجهة، إلى الانسحاب شمالًا نحو الحدود الجزائريّة الماليّة (١)، ممّا يُكذّب فرضيّة وجود مسلّحين متخفّين داخل تلك القرى، أقول رغم ذلك. فإنّه على افتراض وجود بقايا مسلّحين فإنّ الحلّ -لدولة تحترم نفسها وتسعى لبذل الأمن لمواطنيها كما هو حقّهم الطبيعي- ليس في ترويع الآمنين من النساء والشيوخ والأطفال، بالإغارة عليهم فجرًا والتفنّن في تعذيبهم بطريقة ساديّة لا تُميّز بين كبير وصغير، ولا من يُعقل أن يكون متّهمًا، ومن لا يُمكن أن يكون موضع ريبة أصلًا، (كالفئات المستهدفين في هذه الغارة)، بل كان عليها أن تطلب إليهم الدخول إلى داخل المدن، وترك الصحراء باعتبارها مسرحًا لعمليّات عسكريّة،

---

(١) حشد الأزواديّون مئات السيّارات رباعيّة الدفع، وما لا يُحصى من الأسلحة الثقيلة والمتوسّطة والخفيفة، وكثير من الرجال الأشدّاء ممّن خبر الحرب وخبرته لسنين عديدة، وأضعافهم من متوسّطي الخبرة، وحتّى من خبتره قليلة، أو من ليس عنده أيّ خبرة، أي أنّهم جنّدوا كلّ من يُطيق حمل السلاح من رجال أزواد وشبابه، لمعركة مصيريّة تستنقذ البلاد من رعب "فاغنر" إن هي صدّت جحافل الجيوش الزاحفة، أو تُسلّمه على طبق من ذهب إن هي كُسرت ودُفعت إلى التقهقر، أو ولّت الأدبار، والأمر الأخير هو ما حدث بكلّ أسف، بعد أن مُنيت تلك الحشود بهزيمة مدوّيّة، في أيّام الحرب الأولى، ويأتي الحديث عن الأسباب المباشرة لتلك الهزيمة إن شاء الله تعالى.

ولكّن شيئًا من ذلك لم يكن، بل إنّ والي غاوة صرّح بأنّه لم يسمع خروج العرب والطوارق من غاوة إلّا من الإذاعة ! (١)، والأغرب من كلّ هذا أنّه لم يقع تحذير من الحكومة لسكّان الصحاري من المنمّين ومن لجأ إليهم من المدن الكبيرة كغاوة وتنبكت وميتيكا وسواها، فرارًا من بطش العنصريّين السود، بل أرسلت إليهم "فاغنر" لتُنكّل بهم باعتبارهم مقاتلين وحاضنةً للمقاتلين، وهكذا كانت قريتنا الوادعة مسرحًا لإحدى فصول تلك الأهوال والفظاعات، وشاهدةً على بشاعة تلك الجرائم التي دُبّر لها بليل.

لم يُلق الجنود بالًا لكلام كبير الحيّ، بل دفعوه إلى غرفة "التحقيق"، ولم نسمع سوى صوت الضرب، والصراخ المتعالي، وهيللة المتوجّع المستغيث تنطلق من حنجرة الضحيّة مخترقة جدار الحجرة الضيّقة، وقد كانت الصرخات اليائسة للضحيّة تفعل فعلها في قلوبنا، بل لا أُبالغ إذا قلت بأنّ تأثيرها على نفوسنا لم يكن يقلّ عن تأثير الضرب القاتل الذي يتلقّاه الضحيّة على جسده.

---

(١) حدث الخروج الجماعي الكبير من غاوة، غداة فجّر خمسة عناصر من جماعة النصرة أحزمتهم الناسفة بعد اقتحامهم قاعدة عسكريّة في غاوة تضمّ إلى جانب الجيش المالي مجموعة من مرتزقة "فاغنر" وصلوا حديثًا، فخشي الناس أن يُصبحوا هدفًا لانتقامات عشوائية يقوم بها السّودان ومن ورائهم الدولة الماليّة العنصريّة، كما كان يحدث كلّ مرّة عند استهداف الجيش المالي من خصومه (القاعدة، أوالجبهات الأزواديّة) فلجؤوا إلى الصحراء، فكانوا -في لجوءهم ذاك- : "كالمستجير من الرمضاء بالنار"
انظر في تفاصيل الخبر :
https://www.aljazeera.net/news/2023/9/8/%D8%B9%D8%A7%D8%AC%D9%84-%D9%88%D9%83%D8%A7%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%AD%D8%A7%D9%81%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D8%AA%D9%81%D8%AC%D9%8A%D8%B1

في تلك الأثناء جاء مجموعة من العلوج يقتادون مجموعة من الضحايا الأبرياء من إحدى القرى المجاورة (١).
وقف اثنان منهم بقربي، وأخذا يتبادلان الحديث ويتضاحكان، لم أفهم ما قالا وإن لم يخف عليّ أنّ حديثهما يدور في سياق الاحتفاء بما أنجزاه، يُنبئ عن ذلك ما ظهر من غبطة وانتشاء على وجهيهما، (أقول ذلك مع أنّني كنتُ أتحاشى النظر إلى وجوههم والتحديق فيها، جبنًا منّي أو تخابثًا، أو لكلا السببين ربّما، وإنّما كنت أسترق النظر إليها استراقًا، رغم ما كنتُ أمتلئ به حينها من فضول قاتل لكلّ حركة وكلّ كلمة تقال، وكلّ تعبير يظهر على وجه من الوجوه).
نظر إليّ أحدهما شزرًا، وكأنّه -للحظة- اكتشف سرّي المخبّأ الذي سيُودي بحياتي، وهل يريد السادي -المستمتع بتعذيب ضحيّته- أكثر من رائحة الدّمّ ؟ ثم انطلق في سرعة البرق نحوي، مدّ يده إلى قميص جيبي، أخرج الهاتف منه، ثمّ صرخ في تابعه الأسود، (أضحى الأسود تابعًا للأبيض، مع أنّ الأبيض -فيما هو معلن- ما جاء إلّا مساعدًا ومعاونًا للأسود، وممّا يدلّ على ذلك أنّ المجموعة التي أغارت علينا لم يكن فيها سوى أسودان لغرض الترجمة فيما يظهر، ولم ينبس أحدهما ببنت شفة، وإنّما كانا يُنفّذان ما يُطلب منهما في تذلّل وخنوع كاملين.)، أقبل الأسود إلى سيّده الأبيض، فأمره أن يطلب إليّ إزالة كلمة السرّ من الهاتف حتّى يتمكّنوا من الاطلاع على ما فيه، وضعت إبهام يميني على "زر" تشغيل الهاتف، ثمّ دفعته إليه، تولّى الأسود مهمّة تصفّح الهاتف، بينما كان صاحبه يُراقب ما يقوم به، وإن أنس لا أنس توقيف ذلك المرتزق الوضيع لصاحبه الجبان الذليل عند كلّ صورة وكلّ مقطع مرئٍ وتمعّنه فيه ليتأكّد من وجود

---

(١) لأنّ المرتزقة سبقوا إلى قريتنا فقد اتّخذوها مقرًّا لهم، ومنها انطلقوا إلى باقي القرى المجاورة القريبة وجلبوا منها كلّ رجالها للتحقيق معهم.

محظور في تلك الصور وتلك المقاطع (١).
عاينوا كلّ الصور والمقاطع المرئيّة، واستمعوا إلى كلّ المراسلات الصوتيّة، ولعلّهم كذلك قرؤوا -إن كانوا يقرؤون العربيّة- كلّ المراسلات الواتسابيّة المكتوبة، وكذلك اطّلعوا على القنوات التي أنا مشترك فيها على: "التيلغرام"، ولمّا لم يظفروا بشيء أعادوا إليّ الهاتف، لكن وأنا أمدّ يدي لاستلام هاتفي تشجّعت ونظرت إلى عينيْ ذلك الشقيّ لأتمكّن من قراءة مايُكنّه صدره، وينطوي عليه فؤاده من شعور نحوي، من خلال نظرات عينيه وقسمات وجهه، وهل ما زالت شرارة الانتقام التي رأيتها قبلُ موجودة، أم أنّها اخفتت وتوارت؟ وإن كان ذلك الشعور الفظيع توارى، هل خلّفه شعور آخر وما نوع ذلك الشعور؟ أسئلة وخيالات افترست رأسي وأردتُّ إجابةً لها كلّها بنظرة منّي واحدة، بيد أنّ "ليس كلّ ما يتمنّ المرء يُدركه"، فالزمان والمكان لا يُساعدان على ما أُريد، فما إن لمح من وجهي ما أُريد، حتّى أعدّ العدّة لإشغالي بما هو جدير بأن أنسى معه تلك الوساوس والخيالات، فحين كان تركيزي منصبًّا على وجهه وعينيه رفع رجله وبمنتهى قوّته وبسرعة خاطفة، وجّه ضربةً قاصمة إلى أضلاع جانبي الأيسر، شعرت بألم فظيع لم أشكّ معه بأنّ كسرًا قد أصاب ذلك الموضع الذي وقعت عليه الضربة، وكانت الرسالة من هذا الفعل

---

(١) كانت القائمة التي اعتبرها أولئك المرتزقة محظورًا هي وجود رقم لمطلوب لديهم، كأرقام بعض القادة أو العناصر المنتمين لجبهات الأزواد المعاديّة لهم، وكذلك وجود صورة العلم الأزوادي، أو وجود صورة لصاحب الهاتف يحمل سلاحًا، أو حتّى إذا كانت الصورة لغيره، وكذلك إذا كان صاحب الهاتف مشتركًا في المجموعات الواتسابيّة التي تنشر أخبار الأزواد فتلك أيضًا عندهم تهمة يستحلّون بها دمه، وليس في قاموس القوم شيء اسمه "تحقّق" فليس يعنيهم إن كانت تلك الصور جاءت إلى هاتفك بالخطأ لأنّ أحدًا ما أرسلها إليك، وأبقيت عليها، أو لأنّه لا علم عندك بأنّها من المحظور الذي يُمنع تداوله، (خصوصًا إذا عرفنا أن الدولة لم تُصدر بيانا يُجرّم متداولي هذه الصور ولم تُوضّح حرمة ذلك للنّاس).

الهمجي اللامسؤول واضحة، وهي: أنّك ما دُمتَ هنا فلا تحسب أنّك قد نفدت، بل ما زال كلّ جسمك كلأً مباحًا لنا، نوقع به من الضرب والتنكيل ما نُحبّ ونشتهي، ممّا يتناسب مع إجرامنا اللامتناهي.

أخرج المعتدون "كبير الحيّ" -بعد ساعة من الضرب المتواصل- وقد صبغ لون الدم القاني ملابسه، ولم يستطع الوقوف لحظةً بل سقط من طوله على الأرض لكثرة ما أصابه من جراح، فقد وقع النصيب الأكبر من الضرب على المنطقة السفلى من الجسم، على الأفخاذ والساقين والرجلين، وأشهد اللّه أنّ منظر الرجل قد أثار فيّ رعبًا هائلًا، وعرفت أنّ أمر القوم جدٌّ لا هزل فيه، وأنّ هذه الذئاب البشريّة قد نجحت في بثّ اليأس والرعب إلى نفوسنا بأبشع صورة، وأسوأ طريقة، فطفى على السطح جبني الذي طالما أخفته أنفتي الزائفة، وتواردت إليّ الأفكار، وهجمت على مخيّلتي الذكريات، وقلت في نفسي أيّ يوم أسود جاء بك إلى هذه المنطقة، وأيّ أقدار ألقت بك إلى يدي من لا يخش فيك إلّا ولا ذمة ؟ (١).

خَلعتُ ثوبَ اصطِبارٍ كانَ يَستُرُني
وبـان كِـذبُ ادّعائي أنَّني جَـلِـدُ.

لو قيل لي في ذلك الوقت إنّني سأعدم برصاصة في الرأس لكانت تلك غاية الأمنيّات، ولو قد كنتُ ارتكبتُ "جرمًا" ضدّ أولئك المجرمين لكنتُ أواجه مصيري بصدر رحب، وضمير راض، غير أنّ ما كان يترآى أمامي هو ثمن باهظ لم أكن قادرًا أو مستعدًّا على دفعه، فبأيّ طاقة سأتحمّل شقّ اللحم وكسر العظم، وبأيّ عاهة مستديمة سأخرج من تلك الغرفة الكئيبة -إن خرجت- ؟.

---

(١) ليس في تلك العبارات تسخّط على الأقدار، ولا سبٌّ للأزمان كما قد يتبادر إلى بعض الأذهان.

لست شكّاءً في واقع أمري، ولكنّ الأمر كما قال الأوّل:
شكوتُ وما الشكوى لمثليَ عادةٌ
ولكن تفيض النفس عند امتلائها.
غير أنّ المؤمن لا ييأس من روح الله، بل ولا يُسيء الظنّ بربّه -سبحانه-، وقد كنتُ -بفضل الله جلّ ذكره- كثير الحضّ لإخواني -في أوقات السرّاء- على العمل بهذه العبادة العظيمة، أعني عبادة حسن الظنّ باللهﷻ، وأراها أعظم عبادة، من لم يكن متّصفًا بها من أهل الإيمان فلا ريب أنّ في إيمانه دخل. (١)
فما كان منّي إلاّ الالتجاء -بالدعاء- بمن لا يُضام المستعيذ به، ولا يخيب الملتجئ إليه، بالتضرّع إلى الله -سبحانه- بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، التي من جملتها صفات: اللطف، والرحمة (ورحمة الربّ سبحانه وسعت كلّ شيء)، وسواهما ممّا في معناهما من

---

(١) كيف وقد قال الله سبحانه -كما في الحديث القدسي المتّفق عليه- (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي) أمّا المانع الأكبر من حسن ظنّ العباد بربّهم فهو عصيانهم له وتعدّيهم على حدوده سبحانه، وفي ذلك يقول أبو عبد الله بن القيمّ رحمه الله تعالى واسعةً:
" ولا ريب أن حسن الظن إنما يكون مع الإحسان، فإن المحسن حسن الظن بربه أن يجازيه على إحسانه ولا يخلف وعده، ويقبل توبته.
وأما المسيء المصر على الكبائر والظلم والمخالفات، فإن وحشة المعاصي والظلم والإجرام : تمنعه من حسن الظن بربه، وهذا موجود في الشاهد، فإن العبد الآبق المسيئ الخارج عن طاعة سيده لا يحسن الظن به.
ولا يجامع وحشة الإساءة إحسان الظن أبدا، فإن المسيء مستوحش بقدر إساءته .
وأحسن الناس ظنا بربه : أطوعهم له.
كما قال الحسن البصري: إن المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن العمل، وإن الفاجر أساء الظن بربه، فأساء العمل، فتأمل هذا الموضع، وتأمل شدّة الحاجة إليه !
وكيف يجتمع في قلب العبد تيقنه بأنه ملاقي الله، وأن الله يسمع كلامه، ويرى مكانه، ويعلم سره وعلانيته، ولا يخفى عليه خافية من أمره، وأنه موقوف بين يديه، ومسئول عن كل ما عمل، وهو مقيم على مساخطه مضيّع لأوامره، معطل لحقوقه، وهو مع هذا محسن الظن به؟ وهل هذا إلا من خدع النفوس، وغرور الأماني؟" الداء والدواء ص: ٤٤

الصفات التي يدعو بها الملهوث المكروب (١)
ولا أشكّ لحظةً أنّ الله جلّ ذكره قد سمع دعائي فاستنقذني من موت محقّق، ولكن بعد معاناة مريرة، وابتلاء حقيقي، فله الحمد أولاً وآخرًا على كل حال.
نسيتُ أن أذكر لكم الآلة التي اعتُدي بها على كبير الحيّ، فقد شقّوا لحمه وكسروا عظامه، ب "مِجرفة يدويّة"، إذ كان أحدهم يضرب برأس المجرفة الخلفي الحادّ، فإن أحسّ منها وصولًا إلى أصل العظم، وتمكّنها ممّا فوقه من لحم، شقّ -في قوّة ودون أدنى رحمة- ما قابله من لحم، فقطّع في كلّ مرّة الجلد واللحم والأعصاب، (حصل ذلك مرّات عديدة، وفي مواضع مختلفة من الجسم)، زيادةً على العصيّ الغليظة التي كان مجموعة من الرجال يتبادلون الأدوار بالضرب بها، وقد بقي تحت الضرب -الكثيف المبرح- أكثر من ساعة.
وقد عاش صاحب الحكاية -بعد مأساته المريرة تلك- وضعًا يُدمي القلب، فقد أمضى أشهرًا عديدة مقعدًا يتعالج من تلك القروح، ووصلت حالته النفسيّة -من صدمة ما وقع له- حالة مزريّة، وقد نجّاه الله ممّا هو أعظم من ذلك، فقد كانوا قرّروا اختطافه والمضيّ به إلى حيث لا يُعلم شيء عن حاله، ثمّ عدلوا عن ذلك في اللحظة الأخيرة حيث ضاق عنه المكان !

وجاء الدور على: "حمّادي"، وهو شابّ في العشرينيّات من عمره، وكانت جريرته التي لا تُغتفر، هو ما يشي به مظهره من بنية جسم متينة، وعدم اكتراث و مبالاة منه بما يصدر عن القوم من أوامر في شجاعة منه فائقة يُحسد عليها، فقد طلبوا إلينا أن نستدير إلى

---

(١) وذلك شيء حُرم منه من لم يؤمن بهذه الصفات على حقيقتها، فردّها بتأويل أو تفويض.

الجدار فلم يُجبهم إلى ما طلبوا، فجُنّ جنونهم وتحاملوه بينهم إلى الغرفة، وقد عبّر عمّا في قلوبهم من غيظ نحوه وحَنَق عليه، ما أنزلوه به من صنوف التعذيب ممّا لا يكاد يخطر على بال إنسان.

ساعتان من عنف مجنون أهوج، تعرّض له جسم الشابّ المغلوب على أمره المسكين، من قوم اتّخذوا من الإبادة سياسية، ومن نزع الإنسانيّة عقيدة ومذهبًا، فقاتلهم الله ما أخبث نفوسهم، وأغلظ كفرهم، وأشدّ إلحادهم.

وجاء اثنان آخران فاحتملا شابًّا كان يجلس بجانبي اسمه: "الفتح"، وقد سألني -همسًا- قبل أخذهم له بلحظات، أين وجدوني ساعة قبضهم عليّ، فأخبرته بأنّهم اعترضوا طريقي وأنا عائد من المسجد، وسألته بدوري عن هاتفه أين هو، فأخبرني بأنّه عندهم ولكن ليس فيه ما يخشى منه، وبعد دقائق معدودة جاء ثالث فاحتملني أنا كما تحمل الأمّ رضيعها، دخلتُ الغرفة وإذا بثلاثة رجال قد وقف كلّ واحد منهم في جهة وقد أحاطوا "بالفتح" الذي كان ملقًى على الأرض، ورابع قد جلس عليه، يضربه على وجهه، ويصكّ رأسه بالإسمنت من تحته، كان الخامس -وأظنّه قائدهم- واقفًا يقضم بين الكلمة والأخرى من خبزة كانت بيده، غير آبه بمنظر الدماء ولا مشاهد السلخ، ولا صرخات المتوجّعين، وكأنّ هذه المظاهر المقزّزة لا تُثير في نفسه شيئًا لاعتياده عليها.
أشار آكل الخبزة ذاك، إلى إنسان جالس وسأله عنّي، إن كنتُ من خصومهم المفترضين، فأجابه -مشيرًا بسبّابته- بالنفي، وهذه المرّة تبيّنتُ مالم أتبيّنه عند دخولي الأوّل، وجه ذلك الجالس الذي

يسألونه عن أمر كلّ داخل إلى تلك الغرفة، إنّه "عبد الرحمن"، أحد رعاة القرية الذين اختطفهم القوم في بعض دوريّاتهم في وقت سابق، وقد عرّفهم بكلّ واحد من أهل القرية، عمله، ونشاطه، السّابق والحالي، وبناءً على المعلومات التي زوّدهم بها أغاروا علينا، وهذه المعلومات التي أعطاهم إيّاها هي معلومات مغلوطة كاذبة، انتُزعت منه تحت الإكراه والتعذيب (١)، والدليل على ذلك أنّهم لم يعثروا من كلّ تفتيشهم على سلاح أو أجهزة اتصالات أو أي شيء ممّا يقتنيه المقاتلون في الحرب، فأيّ دين سماوي أو نظام أرضي يُبيح لهم ما فعلوه بنا من قتل وأسر وتعذيب لا إنساني ؟

وليس عتبي هنا على أولئك الملاحدة الأنجاس أعني مرتزقة "فاغنر"، فما مُرتزق وضيع عبد درهم بأهل لعتب ولا لوم، إن كان يُنسب لملّة، أو ينتحل مذهبًا أو نحلة، فما بالك بمن اتّخذ الإلحاد دينًا ونكران إله مُنشء للكون مذهبًا، إذ يرى -في مكابرة غبيّة- أنّ هذا الكون المترامي الأطراف المحكم البناء وما انطوى عليه من بديع الصنع ما هو إلّا من فعل العشوائيّة والصدف العمياء، وأنّ الإنسان مجرّد حثالة كيميائيّة، كغيره من أجزاء هذا الكون وكائناته، فلا معنى لتفضيله أو تخصيصه بمزايا عن غيره، بل أكثر من ذلك فإنّه لا وُجود للمعيار الأخلاقي في الرؤية الإلحاديّة، بمعنى أنّ ما فُطر عليه الخلق كلّهم من حبّ للخير والسعي في جلبه، وكره للشرّ والسعي في درأ أسبابه، هو ممّا لا معنى له، لأنّ المعنى نفسه غائب في هذه النظريّة البائسة، بمعنى أوضح لو رضختَ رأس رضيع بحجر فشققته إلى نصفين، أو اغتصبت فتاة صغيرة، أو قطّعت

---

(١) بدت آثار التعذيب ظاهرة على الراعي المسكين، على وجهه وجسده، وكان يعرج من إحدى رجليه، بالكاد يتحرّك، كأنّها مكسورة، وكان مغلول العنق واليد.

أوصالها أربًا، فإنّه لا يوجد في الرؤية الإلحادية ما يُدينك على فعلك هذا أخلاقيًّا.(١)

فما على الإنسان -وفق هذه النظرية الكاسدة- سوى السعي لإشباع رغباته وإرضاء شهواته، مُمتثلًا لجيناته التي تُملي عليه ما تُريد، والطبيعة في النهاية هي من تختار وتصطفي من يكون أهلًا للعيش في كنفها، =أي الأقوى ضمن سنّة الانتخاب الطبيعي المزعومة ! (٢)

فأيّ حوار بله عتب يكون مع من يحمل هذا الفكر المريض ؟

بل هؤلاء لا يفهمون إلّا لغة واحدة لغة القوّة، فمعها ينسون كلّ إيديولوجيا وينسون أنّهم "حثالات كيميائيّة"، وإنّهم شرٌّ من ذلك لو علموا، فقد قال الله سبحانه :{ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}.

وليس عتبي كذلك على الحكومة العنصريّة البغيضة في باماكو، فالمشكلة الوحيدة لهذه الحكومة هي مع ذوي البشرة البيضاء من العرب والطوارق، فسوس "داعش" الذي ينخر في الجنوب مخلّفًا ما لا يُحصى من الضحايا الأبريّاء، و ما لا يُعدّ من النازحين، لا يُحرّك من هذه الحكومة ساكنًا، وهجمات النصرة وحلفائها من كتيبة "ماسينا" في الوسط والغرب، على ثكنات الجيش المالي لم يُثر لها حميّة، أمّا الشّمال الموقّع على اتّفاق دولي، (هو اتّفاق الجزائر، أُبرم عام: ٢٠١٥م، برعاية دوليّة)، ولم يحصل منه انقلاب على هذا الاتّفاق،

---

(١) يشهد لتلك الحقيقة واقعًا أنّ أكثر سفّاحي البشريّة كانوا ملاحدة، كهتلر في ألمانيا، وستالين في روسيا، وماو في الصين، وسواهم.

(٢) الغريب أنّ هذا العالم الذي يصِم كلّ من ينتسب للإسلام بالإرهاب، حتّى الحركات المقاومة التي تُكافح لتحرير أرض مغتصبة كالمقاومين في فلسطين، فإنّهم يعتبرون قتالها إرهابًا، فضلًا عن غيرهم، (رغم أنّ قوانين الأمم المتّحدة مثلا تُجيز مقاومة المحتلّ، وتعتبر فلسطين أرضًا

فإنّ كلّ ذلك لم يشفع له، (١)، فحين حصلت الحكومة الماليّة -بعد انقلابها المشؤوم- على الدعم الروسي، ممثّلًا في مرتزقة "فاغنر" هرعت بهم إلى الشمال، ونست كلّ مشكلة كانت تُمثّل تهديدًا وُجوديًّا لها.

إنّما عتبي -إن كان لي عتب- (٢) هو على الضامنين الدوليّين، الذين سمحوا للحكومة الانقلابيّة بالانقلاب على الاتّفاقيّة الموقّعة، بغضّهم الطرف عن انتهاكاتها المتكرّرة، ممّا شجّعها على مزيد من التمادي في غيّها وطغيانها.

أخرجوا "حمّادي" في حالة يُرثى لها، و تالله لا أجد -في مفرداتي-ما يُعبّر عمّا رأت عيناي، لقد كان منظرًا أكثر من مرعب، فقد قطّعوا الفتى تقطيعًا وكسّروه تكسيرًا، وأحالوا جسمه كلّه إلى قطعة لحم ممزّقة، غير أنّ كلّ ذلك لم يُشبع نَهَم ساديّة تمكّنت في نفوس قوم يشعر المرء بخلجه من الانتماء لبني البشر، وهو يرى تفنّنهم في إهدار كرامة الإنسان، وإذلاله، فبعد نصف ساعة أعادوه إلى الداخل، وبينما لم يكن الشّاب يُريد لروحه أن تنكسر فيزيد عليه بأس العذاب، كان الجلّادون يلحظون تلك المقاومة فيستشيطون غضبًا ويُمعنون في التعذيب.

---

= محتلة،) لكنّه في المقابل لا يعتبر هذا الفكر الخبيث الذي ينزع من الإنسان كلّ قيمة ويُسويّ بينه وبين أيّ حشرة أو جماد وُجد على ظهر هذه البسيطة، لا يعتبره هذا العالم الأعور ذا الميزان المختلّ إرهابًا.

(١) أنبّه إلى أنّني لستُ معنيًّا بالدفاع عن الجبهات، بقدر اهتمامي بتشخيص الواقع، ولهذا فالجزم بأنّ دوافع باماكو لهذه الحرب هي دوافع عنصريّة تُؤكّده شواهد التاريخ ومجريات الواقع، وأمّا الدفاع عن الشعب الأزوادي الذي تعرّض لألوان من الظلم والاضطهاد، فلا ريب أنّني أتقرّب إلى الله تعالى بفضح ظالميه، وإظهار ما يُحاول المجرمون إخفاءه من ذلك.

(٢) العتب هو لأصحاب القضيّة وأنا لستُ طرفًا فيها كما لا يخفى، إنّما هذا أسلوب كتابيٌّ مطروق.

وفي إحدى ثورات غضب الجلّاد -وقد أهانته صلابة الشابّ- انهال عليه بالضرب المستمرّ إلى أن سقط وكفّ قلبه عن النبض، وبقيت الدماء تسيل من أنفه وصُدغيه، إلى أن توقّف عن الحراك تمامًا. قتلوه .. وتركوا أمًّا ثكلى، وزوجًا أيّما، وأطفالًا أيتامًا، وصدق معروفٌ الرصافي يوم يقول:

وأكبر ما يدعو القلوب إلى الأسى
بكاء يتيم جائع حول أيّم.

وأؤكّد -وقد تولّيتُ أمر تغسيله وتكفينه- أنّه لم يبق في جسمه موضع إصبع إلّا وفيه جرح غائر، أو كسر بادٍ، أو ورم ظاهر، وأقلّ ما فيه ندوب وبقع سوداء منتفخة، تؤكّد قوّة الضرب في موضع ليس فيه عظم فيُكسر، أو حالت كثافة اللحم دون وصول الضرب إلى العظم، فلمَ كلّ هذا التوحّش يا ترى ؟ لقد كنّا نسمع السؤال الذي يُطرح عليه بعد كلّ ضربة يتلقّاها، سؤال واحد يتيم "أزوادي" ؟ وكان تارة يُجيب بلا، وتارةً يؤكّد على انتمائه للدولة الماليّة، وقد أخرج لهم بطاقة هويّته التي تُؤكّد ذلك، وبعد أن عرف أنّ عقولهم البهيميّة مبرمجةً على هذا السؤال السخيف، ترك الرّدّ عليهم، فصار إذا بلغ منه الوجع مبلغًا يعجز عن تحمّله، صرخ بكلمة الشهادة بأعلى صوته كأنّما ينفلت الصوت من لهاته ويخرج دون إذن ولا رغبة منه.

ثمّ بدؤوا في المرحلة الأخيرة، مرحلة "التفتيش" ولم يكن تفتيشًا عاديًا، فقد أمرونا بإخراج ما في جيوبنا، أخرجت لهم هاتفي الذي سبق أن فتّشوه، وأربعة آلاف فرنك كانت في جيبي، وبطاقة تعريفي السخصيّة، وهو ما فعله كلّ من معي، ثمّ تكرّموا بإدخالنا إلى الظّلّ،

وبعد ساعة من الانتظار بعد التفتيش، بدؤوا يستعدّون للمغادرة، فأخرجوا من أرادوا المضيّ به معهم، الشيخ العجوز وثلاثة شُبّان، ودكتور القرية، (١) وأمّا كبير الحيّ فقد أخرجوه للذهاب به، ولكنّه لم يجد مكانًا، لسبب يأتي الحديث عنه قريبًا، ثمّ حمّلوا في سيّاراتهم كلّ ما قدروا على تحميله، بدءًا بالدرّاجات النارية، وسيلة أهل القرى للتنقّل، وانتهاءً بكلّ ما لهم رغبة فيه من أمتعة البيوت، حتّى أنّه لم يبق لكبير الحيّ مكان في تلك السيّارات، مع أنّهم كانوا قد قرّروا الذهاب به، وأخرجوه لذلك، (٢) ثم انطلقوا وتركونا، لكنّ الحكاية لم تنته هنا، فحين تأكّد لنا مغادرتهم، خرجنا سراعًا إلى دورنا، إلّا أنّ ما كان في انتظارنا هو رماد نار أتت على كلّ ما في تلك الدور، لم يتركوا لنا أيّ شيء، فكلّ ما عجزوا عن أخذه فقد أحرقوه، حتّى المسجد لم يسلم من تدنيسهم وإجرامهم، فقد أحرقوه بما فيه، بعد نهب فرُشه وأثاثه.

أمّا بالنسبة لي، فإنّه على الرغم من أنّه لم يتبقّ لي شيء ممّا سعيت في جمعه وتحصيله سنين عددًا، (باستثناء الثوب الذي بقي على جسدي،) فإنّي لم أحزن على شيء حزني عليها، مكتبتي؛ ليس لأنّها مكتبة أنفقت عليها ثلث مدّخراتي لخمس سنين، وليس لأنّها كانت مؤنسًا مخلصًا ورفيق درب وفيٍّ في غربتي الجسميّة والفكريّة تلك، بل لأنّي امرؤ مصاب بداء القراءة، وشغفي المطالعة، لا أتخيّل نفسي قادرًا على العيش دونها، فما مكان خالٍ من الكتب والقبر عندي إلّا

---

(١) وهو للمفارقة موظّف حكومي، مبتعث من الحكومة لتلك القرية، ومن الحكومة يتلقّى راتبه، لكن كما قلت من قبل القوم لا يُميّزون بين متّهم وبريء، ولا يُفرّقون بين أبيض وأسود، الجميع عندهم سواء.

(٢) إن كان لفظ الاسترزاق اليوم لفظًا فضفاضًا فارغا من محتواه، يُرمى به البرّ والفاجر فإنّه بالنسبة لهؤلاء إسم على مسمّى.

سواء، فكيف لو عرف القارئ الكريم أنّ هذه المكتبة تحوي ذخائر ليس أظنّ بمقدوري تعويضها في مدًى منظور، إلّا أن يشاء الله.
فمن بين نيّف وأربعين وسبعمائة عنوان، حوت المكتبة أفضل الطبعات في كتب عقيدة السلف المسندة. (١)
وكذلك ضمّت المكتبة كتبًا في نقد الإلحاد الجديد والعالمانيّة الغربيّة، وهو موضوع حرصت أن أقرأ فيه كثيرًا في سنيّ الأخيرة. (٢)
وجمعت المكتبة كذلك بعضًا من كتب الأدب العربيّ القديم والحديث، (٣)=

---

(١) ككتابي "السنّة" "والرد على الزنادقة والجهميّة" للإمام المبجّل إمام أهل السنّة والجماعة أحمد بن حنبل الشيباني رحمه الله تعالى رحمة واسعة، و كتاب السنّة لابنه عبد الله ولابن أبي عاصم والخلّال وابن أبي زمنين، وكتابي الدارمي "الردّ على الجهميّة" و "الرّد على المرّيسي" وكتاب "التوحيد" لإمام الأئمّة ابن خريمة الشافعي رحمه الله، وكتاب : "الصفات" "الرؤية" والنزول" لإمام العلل بلا مدافع الحافظ أبي الحسن الدارقطني رحمه الله تعالى، وإبانة أبي عبد الله بن بطّة العُكبري الحنبلي رحمه الله، وشريعة الآجرّي الشافعي رحمه الله، ورسالة الحافظ السجزي إلى أهل زبيد في الحرف والصوت، وسواها من الكتب الأثريّة المسندة وغير المسندة كثير.
وهذه الكتب غمطها الناس حقّها بكلّ أسف، فليس لكثير من أهل العلم اهتمام بهذه الكتب شرحًا وتدريسًا كما هو فعلهم مع غيرها من كتب الخلف، بل ولا تجد كثيرًا من طلبة العلم يعلم عنها شيئًا، والجهل بهذه الكتب هو الذي أدّى لاندثار كثير من أقوال السلف، كقولهم في الجهميّة وأهل الرأي الذي أصبح اليوم ينسبهم به بعض أدعياء التحقيق إلى التحامل، (كحال محقّق السنّة لعبد الله،) فمن أراد الاستفادة بهذه الكتب حقًّا فعليه بتحقيقات من يُعظّم أقوال السلف ويسعى لنصرتها ونشرها بين الناس، لا من يسخر منها وينسب الآخذ بها للغلوّ، وأذكّر في هذا الصدد بجهود الشيخ الفاضل الذي كان له جهد مشكور في الذّبّ عن منهج السلف، أعني الشيخ عادل بن عبد الله آل حمدان، فقد حقّق عدّة أسفار من كتب السلف تحقيقًا حسنًا فجزاه الله خيرًا كثيرًا.

(٢) لا سيما كتب النابغة التونسي الدكتور الفاضل سامي عامري وفّقه الله لكلّ خير، فقد حرضت على إنتاج هذا الرجل مذ قرأت أوّل كتاب له قبل سنوات، فجزاه الله خيرًا كثيرًا على ما يقوم به في ثغره من نكاية بأعداء الإسلام الملاحدة وإخوانهم العالمانيين.

ونظمت المكتبة كذلك كتبًا في طائفة من القضايا المختلفة كالتاريخ، وكتب الرحلات، والسير الذاتيّة، وسوى ذلك.
إضافةً إلى المصادر والمراجع الكثيرة التي جمعتُها عن الأزواد تحضيرًا لكتابة كتاب "خمس سنين في أزواد" فعند الله وحده أحسب ذلك كلّه.
وفي مساء ذلك اليوم ودّعتُ تلك القرية بل وودّعت المنطقة كلّها، وقرّرت أن لا يكون لي رجوع إليها ما دام حالها على ما هو عليه من الاضطراب وقلّة الأمن، إلى أن يأذن الله بتطهيرها من ملاحدة فاغنر الأوباش اللئام.
هذه حكاية ستّ ساعات ارتكب فيها ملاحدة فاغنر في قريتنا الموبقات، من قتل وأسر وتعذيب بشع لا يُصدّقه إلّا من رآه، وقد أخّرت المباشرة بتدوين هذه الحكاية أكثر من شهر حتّى أتجاوز الصدمة، لئلّا تتحكّم العاطفة فيما أكتب، فجاءت هذه الشهادة غير موشّاة ببديع البيان، ولا مزيدة بزيف الخيال، ولي غرض وحيد من تعجيل نشرها، (١)، وهو الكشف عن جانب ضئيل ممّا يتعرّض له أهلنا في أزواد، ممّا لا يُمكن توصيفه إلّا بأنّه إبادة جماعيّة وتطهير عرقي ممنهج، وهذا ليس محض رأي شخص لي، وإنّما هو رأي

---

(١) كدواوين الشعر القديمة، وأشيد هنا بكتاب لأحد المعاصرين ابتكر فيه طريقة أراه وُفّق في تحقيها، فالفكرة التي ابتنى عليها كتابه هي جمع أجود ما قال كبار الشعراء من امرئ القيس إلى إلى إيليا أبي ماض، مع شرح تلك المختارات بلغة عصريّة مفهومة، والكاتب هو عارف حجّاوي، وقد قسّم كتابه خمسة أسفار، أول الشعر، تجدّد الشعر، تألّق الشعر، إحياء الشعر، آخر الشعر، استفدتّ من مطالعته كثيرًا، وفي النثر كتب الجاحظ ورسائله وابن قتيبة الإمام وسواهما، والمتأخرين المنفلوطي والرافعي والعقّاد والخضر حسين وطه حسين ومحمود شاكر وسواهم.

(٢) هذا المقال هو كما أسلفت فصل مستلّ من الكتاب الكبير، وليس هو كلّ ما عندي.

الخبراء الأمميّين وسواهم. (١)

---

(١): كما هنا:
https://aawsat.com/home/article/4130576/%D8%AE%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D8%A1-%D8%A3%D9%85%D9%85%D9%8A%D9%88%D9%86-%D9%8A%D8%AA%D8%B9%D9%82%D8%A8%D9%88%D9%86-%D8%AC%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%85-%C2%AB%D9%81%D8%A7%D8%BA%D9%86%D8%B1%C2%BB-%D9%81%D9%8A-%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9-%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%8A